

التحرير والتنوير

قلت : وفيها آية (لا يستوي منكم من أنفق قبل الفتح) الآية وسواء كان المراد بالفتح في تلك الآية فتح مكة أو فتح الحديبية . فإنه أطلق عليه اسم الفتح وبه سميت (سورة الفتح) فهي متهينة لأن تكون مدنية فلا ينبغي الاختلاف في أن معظم السورة مدني . وروي أن نزولها كان يوم الثلاثاء استنادا إلى حديث ضعيف رواه الطبراني عن ابن عمر ورواه الديلمي عن جابر بن عبد الله .

: الجمهور قول على جريا السور نزول ترتيب في والتسعين الخامسة السورة عدت وقد A E إنها مدنية فقالوا : نزلت بعد سورة الزلزال وقبل سورة القتال وغذا روعي قول ابن مسعود : إنها نزلت بعد البعثة بأربع سنين . وما روي من أن سبب إسلام عمر بن الخطاب أنه قرأ صحيفة لأخته فاطمة فيها صدر سورة الحديد لم يستقم هذا العد لأن العبرة بمكان نزول السورة لا نزول آخرها فيشكل موضعها في عد نزول السورة .

وعلى قول ابن مسعود يكون ابتداء نزولها آخر سنة أربع من البعثة فتكون من أقدم السور نزولا فتكون نزلت قبل سورة الحجر وبعد غافر فالوجه أن معظم آياتها نزل بعد سورة الزلزال .

وعدت آياتها في عد أهل المدينة ومكة والشام ثمانا وعشرين وفي عد أهل البصرة والكوفة تسعا وعشرين .

وورد في فضلها مع غيرها من السور المفتحة بالتسبيح ما رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن العرياض بن سارية " أن النبي A كان يقرأ بالمسبحات قبل أن يرقد ويقول : إن فيهن بية افضل من ألف آية " وقال الترمذي حديث حسن غريب .

وظن ابن كثير أن الآية المشار إليها في حديث العرياض هي قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) لما ورد في الآثار من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها . أغراضها .

الأغراض التي اشتملت عليها هذه السورة : التذكير بجلال الله تعالى وصفاته العظيمة وسعة قدرته وملكوته وعموم تصرفه ووجوب وجوده وسعة علمه والأمر بالإيمان بوجوده وبما جاء به رسوله A وما أنزل عليه من الآيات البينات .

والتنبيه لما في القرآن من الهدى وسبيل النجاة والتذكير برحمة الله ﷻ ورأفته بخلقه . والتحريض على الإنفاق في سبيل الله ﷻ وأن المال عرض زائل لا يبقى منه لصاحبه إلا ثواب ما انفق منه في مرضاة الله ﷻ .

والتخلص إلى ما أعد الله للمؤمنين والمؤمنات يوم القيامة من خير وصد ذلك للمنافقين والمنافقات .

وتحذير المسلمين من الوقوع في مهواة قساوة القلب التي وقع فيها أهل الكتاب من قبلهم من إهمال ما جاءهم من الهدى حتى قست قلوبهم وجر ذلك إلى الفسوق كثيرا منهم . والتذكير بالبعث .

والدعوة إلى قلة الاكثراث بالحياة الفانية .

والأمر بالصبر على النوائب والتنويه بحكمة إرسال الرسل والكتب لإقامة أمور الناس على العدل العام .

والإيماء إلى فضل الجهاد في سبيل الله .

وتنظير رسالة محمد A برسالة نوح وإبراهيم عليهما السلام على أن في ذريتهما وهتدين وفاسقين .

وأن الله أتبعهما برسول آخرين منهم عيسى عليه السلام الذي كان آخر رسول أرسل بشرع قبل الإسلام وأن أتباعه كانوا على سنة ن سبقهم منهم مؤمن ومنهم كافر .

ثم أهاب بالمسلمين أن يخلصوا الإيمان تعريضا بالمنافقين ووعدهم بحسن العاقبة وأن الله فضلهم على الأمم لأن الفضل بيده يؤتاه من يشاء .

(سبح الله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم [1]) افتتاح السورة بذكر تسبيح

الله وتنزيهه مؤذن بأن أهم ما اشتملت عليه إثبات وصف الله بالصفات الجليلة المقتضية أنه منزله عما ضل في شأنه أهل الضلال من وصفه بما لا يليق بجلاله وأول التنزيه هو نفي الشريك له في الإلهية فإن الوحدانية هي أكبر صفة ضل في كنهها المشركون والمانوية ونحوهم من أهل التثنية وأصحاب التثليث والبراهمة وهي الصفة التي ينبئ عنها اسمه العلم أعني (الله) لما علمت في تفسير الفاتحة من أن أصله الإله أي المنفرد بالإلهية